

اللسانيات الاجتماعية

sociolinguistics

د. هاجر الملاحي

جامعة محمد الأول وجدة

hajar.elmalahi@outlook.com,

المغرب

تاريخ القبول 2018/05/17

تاريخ الاستلام: 2017/10/02

مقدمة:

مرت اللسانيات عبر مجموعة من المحطات، وكانت لعلاقة اللغة بالمجتمع في كل محطة من هذه المحطات دورها المهم، بل وقد تم توجيه نقود لاذعة لكل نظرية أغفلت الجانب الاجتماعي للغة، وسنحاول في بحثنا هذا تسليط الضوء على أبرز المدارس اللسانية، على أن نخصص الفصل الثاني للحديث عن أهم ما جاءت به اللسانيات الاجتماعية.

وقد قسمنا بحثنا المتواضع هذا إلى مبحثين بارزين، فتناولنا في المبحث الأول المعنون ب "المدارس اللسانية المعاصرة": تعريف اللسانيات، ومجالات اشتغالها، وأهم المناهج التي اعتمدها في دراساتها، ثم أشرنا إلى بعض مجهودات العرب في المضي قُدما بالتفكير اللغوي/ اللساني، وكذا مجهودات بعض الغربيين في الغرب الأوربي قبل سوسير. لنعرج بعد ذلك إلى الحديث عن أهم المدارس اللسانية الغربية، والتي تشكل منعرجا مهما في البحث اللغوي، وهذه المدارس كالآتي:

➤ المدرسة البنيوية.

➤ المدرسة الوظيفية.

➤ المدرسة الكلوسيماتيكية.

➤ المدرسة السياقية.

➤ المدرسة التوزيعية.

➤ المدرسة التوليدية التحويلية.

واختتمنا محورنا الأول بوظائف اللغة الأساسية؛ وهما وظيفتان أساسيتان: الوظيفة الاجتماعية، والوظيفة الفكرية.

وقد كان هذا المبحث اللبنة الأساسية الأولى، التي حولت لنا الحديث بكل سلاسة عن اللسانيات الاجتماعية، ويمكن اعتبار هذه المدارس ككل، الإرهاصات الأولى التي ساهمت في تشكل اللسانيات الاجتماعية كعلم قائم بذاته بعدما تم تهميشه وعدم الاهتمام به في مراحل متعددة.

أما في المبحث الثاني، المعنون بـ "اللسانيات الاجتماعية"؛ فقد خصصناه للحديث عن اللسانيات الاجتماعية، فقدمنا تعريفاً وافياً لهذا العلم المميز، وأشرنا إلى تعدد المصطلحات العربية التي تطلق عليه كاللسانة الاجتماعية، واجتماع اللغة، وقدمنا الفرق الذي يُميزه بين علم اللغة الاجتماعي، وعلم اجتماع اللغة. ثم أشرنا إلى بعض مظاهر اهتمام العلماء المعاصرين بهذا العلم، ويتجلى هذا الاهتمام بإنشائهم دوريات خاصة تعنى به.

وبعد ذلك تحدثنا عن بعض الباحثين الذين أثاروا إشكالية اللغة، وعلاقتها بالمجتمع كوليام بافلوف (1927) وديل هيمنز (1927-2009)، وغيرهما.

وقد تميز بحثنا هذا بتعدد المراجع التي استيقنت بها المعلومات، سواء ما تعلق بالمراجع العربية الأصلية، أو الأجنبية، أو المترجمة، إضافة إلى اعتمادنا لمقالات موثوقة وغير ذلك. كما صادفتنا مجموعة من الإشكالات في هذا الصدد، خاصة تلك التي تتعلق بندرة المراجع في موضوع "اللسانيات الاجتماعية"، مع رداءة ترجمات بعض المراجع المهمة، وتؤدي هذه الترجمة في أحيان كثيرة إلى ركافة الأسلوب، وإلى تغيير المعنى كذلك.

وفي ختام مقدمتنا، نقدم الشكر الجزيل، باسم طلبة ماستر الدراسات اللغوية "قضايا ومناهج"، إلى أستاذنا الدكتور "شوقي المقري" على حسن منهجه، وتقديمه لنا الفرص المميزة للبحث والتنقيب في المواضيع المحببة لنا، أثناب الله عنا خير الثواب.

المبحث الأول: المدارس اللسانية

تعتبر اللسانيات، من أهم العلوم، التي استطاعت بشكل أو بآخر، فرض نفسها، وبقوة، في الساحة اللغوية عامة، ويُعرف هذا العلم بكونه علم "يدرس اللغة (الطبيعية والاصطناعية)، دراسة علمية تقوم على الوصف، ومعاينة الوقائع بعيدا عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية."¹

ويقول جون بروت في تحديده لموضوع اللسانيات، أن "اللسانيات هي علم اللغة":

"la linguistique est la science de langage"،² فهذا فاللغة باعتبارها " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم."³ هي الموضوع الأساس للسانيات ككل.

وقد استطاعت اللسانيات، منذ نشأتها، دراسة اللغة دراسة علمية في شتى مجالاتها، فطالما حاول البحث اللساني معالجة قضايا لسانية خالصة، مثل دراسة الصوت والصرف والنحو والدلالة والتركيب، بهدف ضبط قواعد الاشتغال فيها،⁴ أو البحث فيما هو من خارجه وله صلة وثيقة به كالبرغماتية والتأويلية واللسانيات والنفسية والاجتماعية، ولسانيات المدونة وتحليل الخطاب.⁵

كما تعتمد اللسانيات في دراساتها المتنوعة، على منهجين بارزين، وهما:

✓ المنهج الوصفي: وذلك عبر الملاحظة المباشرة للظواهر اللغوية الموجودة بالفعل، والفضل في هذا المنهج، يعود للعالم اللغوي سوسير، الذي يقول أن موضوع الدراسة اللغوية الوحيد والحقيقي، هو اللغة التي ينظر إليها كواقع قائم بذاته يبحث فيها لذاتها.⁶

✓ المنهج التاريخي: ومن خلاله يتم تتبع الظاهرة اللغوية في عصور مختلفة، وأماكن متعددة، ليلحظ ما أصابها من التطور، مع الوقوف على سر هذا التطور، وقوانينه المختلفة.⁷

وقد مرت اللسانيات بمجموعة من المحطات الهامة، خاصة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، مما ساهم، بشكل كبير، في تطورها وازدهارها. ويؤرخ

اللسانيون لعلم اللسانيات بصدور كتاب "Cour De Linguistic General"، لفيردناد دي سوسير، حيث ساهم هذا الكتاب في القيام " بثورة

جذرية في تاريخ اللسانيات، فتحوّلت معه اللغة إلى موضوع البحث اللساني المستقل بذاته، يبحث في خصائصها البنوية وقواعدها العلمية.⁸

وانطلاقاً من هذا الطرح، سنحاول الحديث عن أهم المدارس اللسانية، التي اشتهرت وساهمت في بلورة اللسانيات، خاصة الغربية منها. لكننا قبل ذلك، نشير إلى وجود مذاهب فكرية قبل مدرسة سوسير. ولعل أبرز هذه المذاهب، هي التي قام بها العرب، إذ يقوم التفكير اللساني العربي، حسب ما أورد الدكتور "نعمان بوقرة" في (كتابه المدارس اللسانية المعاصرة)، على مجموعة من الأسس والمفاهيم أهمها: (علم النحو، وعلم اللسان، وعلم الألفاظ المفردة، وعلم الألفاظ المركبة، وعلم الأشعار...)،⁹ كما يركز التفكير اللساني العربي على جملة من المستويات هي: (المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي النحوي، والمستوى المعجمي، والمستوى الدلالي).¹⁰

كما نجد أيضاً، حضوراً وازناً لمجموعة من المدارس في الغرب الأوروبي قبل المدرسة السوسيرية، سواء عند الهنود، أو اليونان، أو الرومان وغيرهم.¹¹ ولا يتسع لنا المجال للخوض في غمار هذا الموضوع بما يحتاجه من التفصيل، لذا اكتفينا بالإشارة إليه فقط.

ومن هنا نخرج إلى أهم المدارس اللسانية الحديثة، ومما تتميز به هذه الأخيرة، كما سيأتي، انتقالها من محطة إلى أخرى، وكل هذه المحطات، تضيف الشيء الكثير، وتأسس لنظريات جديدة، تتراكم لتتولد عنها مسارات في البحث تستقل فيما بعد. وهذه المدارس كالتالي:

❖ المدرسة البنوية: "Structuralism" مع سوسير

ولفيردناد دي سوسير، في جنيف سنة 1857م، درس في جامعة لايبزيش الألمانية، حصل على شهادة الدكتوراه بموضوع "حالة الجر المطلق في السنسكريتية" وهو ابن 22 سنة. وتوفي سنة 1913م.

ويلقب سوسير بأب اللسانيات الحديثة، فبفضله أصبحت دراسة اللغة تتم وفق منهج علمي وصفي آني، يتوخى الشمول والدقة وعدم التناقض.¹² فترى النظرية البنيوية، التي بدأت مع سوسير وازدهرت مع بلومفيلد Bloomfield، ولويس هيمسليف، " أن دراسة المادة اللغوية التي أماننا باعتبارها الشيء الحقيقي،

ثم دراستها في إطار سلوكي، يؤكد أن أي فعل لا يفهم إلا في ضوء المثير (Stimulus) والاستجابة (Réponse). وقد أفضى ذلك بطبيعة الحال، أن يكون المنهج البنيوي منهجا استقرائيا يبدأ أولاً بجمع المادة، ويصل بعد ذلك إلى القاعدة أو النظرية.¹³

ولعل أبرز ما ميز النظرية السوسيرية عن غيرها، محاولته تمحيص البنى اللغوية عبر إبراز الثنائيات ومدى تداخلها واختلافها، وهذه الثنائيات تكون على الشكل الآتي:

■ **اللغة والكلام:** (la Langue et Parole): كما نعلم جميعاً، فقد ميز دي سوسير بين مصطلحين، كان القدماء يراذفان بينهما، وهما اللغة والكلام، بمعنى أنه ميز بين لغة مجموع الجماعة المتكلمة التي توجد في الوعي الكلامي لكل فرد، وظاهرة الكلام الفردي الذي يعكس اللغة.¹⁴ فاللغة: هي "تلك الظاهرة العامة التي يختص بها الإنسان، ويتفرد دون سائر الكائنات، إنها ملكة التعبير برموز ناطقة، واستعمال جهاز النطق... لأنها مزيج من مسائل غير متجانسة."¹⁵ أما الكلام فهو: "التطبيق الصوتي والمجهود العضلي الذي تنتج عن أصوات لغوية معينة، فهو عملية فردية، تقوم بتطبيق قوانين النظام اللغوي."¹⁶ كما نجد في هذا الصدد، حديث سوسير عن مصطلح آخر، ألا وهو اللسان الذي هو: "ظاهرة اجتماعية تعم جميع الأفراد المنتمين إلى أسرة لسانية واحدة، فهو شبيه بمعجم توجد منه نسخ في الأدمغة وأفراد المجتمع."¹⁷

■ **الدال والمدلول:** (Signifie et signifiant) الدال: الانطباع النفسي للأصوات المادية التي تنتج في الطبيعة، ويتميز الدال بخاصية التوالي فهو سمعي يتحقق في الزمن لذا تظهر الدوال متتالية في السلسلة الكلامية.¹⁸ أما المدلول: فهو التصور الذي يتكون في ذهننا يحكم تجاربنا المتعددة ومحيطنا الخاص عن مفهوم هذا المدلول.¹⁹

■ **الآنية والزمنية:** (Synchronic et Diachonic): فالسانكرونية (الآنية): هي دراسة اللغة في لحظة زمنية محددة كنظام متماسك منته ومغلق، فهي دراسة اللغة في حالة

معينة قد تكون قديمة أو حديثة، ولا تأخذ المراحل السابقة بعين الاعتبار، ولا اللاحقة منها.²⁰ أما الدياكرونية (الزمانية): فهي تتبع الظواهر اللغوية والنظام اللغوي ككل مع مرور الزمن، وتعاقب المراحل، وهي عند سوسير وجهة نظر يمكن أن يختارها اللساني، وقد غلبت في القرن التاسع عشر تحت تأثير أعمال بوب، وتهدف الدياكرونية إلى التفسير التاريخي للنظام السانكروني.²¹

■ العلاقة الجدولية والعلاقة الأفقية: (Suntagmatique et Paradigmatique)

(أو العلاقة الاستبدالية والعلاقة المركبية: فالأولى هي "مجموع الألفاظ التي يمكن أن يأخذ منها في كل نقطة من نقط السلسلة الكلامية، ومجموع تلك الألفاظ القائمة في الرصيد المعجمي للمتكلم، والتي لها طواعية الاستبدال بينها".²² أما العلاقة المركبية فهي "العلاقات التي ترتبط بالحركة الأفقية داخل السلسلة الكلامية عبر زمن النطق أو الكتابة".²³

❖ المدرسة الوظيفية: (Fonctionnelle)

تأسست حلقة براغ سنة 1926 بمبادرة من مثيروز، ومجموعة من الباحثين، وقد قامت هذه الحلقة على الأصول النظرية التي أرسى دعائمها دي سوسير، كما اتخذت "نظرية الفونيم" لبودوان دي كورتناي، نظرية كاملة للتحليل الفونولوجي.²⁴ وقد عُنت حلقة براغ بالبعد الوظيفي للغة، ممثلاً بكيفية استخدام اللغة من حيث هي وسيلة اتصال، يستخدمها الأفراد للتواصل ولأهداف وغايات معينة.²⁵

وتنبني هذه المدرسة، على مجموعة من الأطارح والمبادئ، من بينها:²⁶

- الأطروحة الأولى: جاءت تعميقاً للمقولات والآراء السوسيرية وعالجت مشكلة المنهج في البحث اللساني، من خلال جملة من القضايا أهمها: اعتبار اللغة منظومة وظيفية، واعتمادها التحليل السانكروني للظواهر اللغوية، ثم الأخذ بالمنهج المقارن في الدراستين السانكرونية والدياكرونية.

- الأطروحة الثانية: تتناول اللغة من الجانب الصوتي، سواء باعتباره ظاهرة فيزيائية سمعية، أو كونه عضواً في نسق المنظومة.

- الأطروحة الثالثة: معالجة مشكلة الوظائف اللسانية، مع إمكانية تغيير البنية الصوتية والتركيبية للغة ما.

ومن الأمثلة المباشرة عن التفسير الوظيفي في عمل ماثيوز ما يتعلق باستعماله للعبارتين اللتين تترجمان عادة إلى مسند إليه (Theme) ومسند (Rheme)، بالإضافة إلى الفكرة التي أطلق عليها الكتاب المحدثون " المنظور الوظيفي للجملة" Functional Sentence Perspective²⁷

❖ المدرسة الغلوسيماتيكسة: (Glossématique)

أسست سنة 1943، على يد برونالد ولويس هيلمسليف. وتسير آراء هذه المدرسة بشكل عام على نهج البنيوية، رغم كون علماء هذه المدرسة يملكون نظرة خاصة في تناول الظواهر اللغوية، وفي تحديدهم لبعض المفاهيم التي قد تخرج عن آراء المدرسة البنيوية.

إن اللغة عند علماء المدرسة الكلوسيماتيكسية هي هدف لذاتها وليست وسيلة، " فاللغة وحدة مغلقة على نفسها، أو هي بنية عاقر.²⁸ أما النص عندهم فهو ليس سوى: تركيب للعناصر الشكلية أو تركيب شكلي من عناصر متعددة، ومن ثم فإن النص عندما يتحقق في جوهر ما فإنه ينتهي إلى جانب الكلام.²⁹

ومن هنا، نستشف أن نظرية مدرسة كوينهاغن، لا تعدو محاولة لخلق بناء منطقي رياضي، يقوم على جملة من المفاهيم والتعريفات، وقد شأب هذه الأخيرة مجموعة من الشوائب والضبابية، مما أدى إلى عدم شيوعها، كالذي حضيت به مدرستا جنيف (سوسير) وبراغ (الوظيفية).

❖ المدرسة السياقية:

كانت هذه المدرسة من تأسيس العالم الإنجليزي فيرث (1890-1960)، ويمكن القول أنه أول من جعل من اللسانيات الحقيقية دراسة علمية متميزة ومعترف بها في بريطانيا.³⁰ فقد كان أستاذ في الأدب الإنجليزي في جامعة البنجاب، ثم عاد إلى لندن

ليشغل أحد المناصب في قسم الصوتيات، كما قام بالإشراف على معظم مدرسي اللسانيات في بريطانيا. كما عني فيرث بتدريس مقررات في علم الاجتماع اللغوي (Sociology Of Language)، قبل أن يستقل هذا العلم بفضل الدراسات الأمريكية.³¹

ويمكننا تلخيص نظرية فيرث، بشكل بسيط، في قولنا، أنها تنظر إلى المعنى بعد أن كان يوصف بأنه علاقة بين اللفظ وما يحيل إليه في الخارج.³² فجعل اهتمام نظرية فيرث صبت على الصوتيات الوظيفية وعلم الدلالة بشكل أساسي. وبأسلوب آخر فهذه المدرسة قد أعادت الاعتبار إلى المعنى داخل السياق بعدما كان مغيبا ومهمشا لفترات طويلة.

❖ المدرسة التوزيعية:

يطلق هذا المصطلح على تيار السني، الذي ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية حوالي 1930. وقد ظهرت مبادئ التحليل التوزيعي على يد بلومفيد 1930، الذي عاصر التيار السلوكي البيوهافوري في أمريكا.³³ وقد عرف هذا المنهج تقدما ملموسا في سنة 1945، وهدفه الأساس هو وصف اللغة باعتبارها مجموعة من التعابير المادية المتمثلة في العينة اللغوية، دون أن يدخل في ذلك اعتبار دلالة هذه التعابير، أو ظروف التواصل بها.

❖ المدرسة التوليدية:

النحو التحويلي التوليدي: تأسست هذه المدرسة على يد أفرام نوم تشومسكي AvramNoam Chomsky: وهو من مواليد 1928 في فيلادلفيا، من عائلة يهودية روسية الأصل.³⁴ تلقى دراسته في بنسلفانيا، ودرس هناك علم اللغة والرياضيات والفلسفة، حصل على شهادة الدكتوراه عام 1955، وقد حظيت أعماله بالتقدير في الدوائر الأكاديمية، فمنح درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة شيكاغو، ودعي لإلقاء المحاضرات في عدد من البلدان، مثل محاضرات "بيكمان" في جامعة كاليفورنيا في "بيركلي"، ومحاضرات "جان لوك" 1969، وغيرها،³⁵ ومن أهم مؤلفاته:

– البنى التركيبية: 1957.

- البنية المنطقية للنظرية اللسانية: 1975.
- ملامح النظرية التركيبية: 1965.
- اللسانيات الديكارتية: 1966.
- اللغة والفكر: 1968.

إن أبرز ما تميزت به مدرسة تشومسكي هي نظرية النحو التوليدي التحويلي، فقد " قاد تشومسكي ثورة علمية نجم عنها نموذج للتفكير في اللغة، أفرز مجموعة من الاشكالات يجب أن يعتني بها اللغوي، وضمنها الاهتمام بالجهاز الداخلي الذهني للمتكلمين عوض الاهتمام بسلوكهم الفعلي.³⁶

ويتجلى هذا الأنموذج الجديد في مجموعة من المراحل التي مرت بها هذه النظرية، والتي يطرح فيها في كل مرة الشيء الكثير، ومن بعض هذه النماذج:

نموذج 1957:

ويتميز هذا النموذج أنه يحوي نوعين من القواعد يحددان المكونين الفرعيين للتركيب، وهما:³⁷

✓ قواعد مركبية (أو مكونية) صورتها:

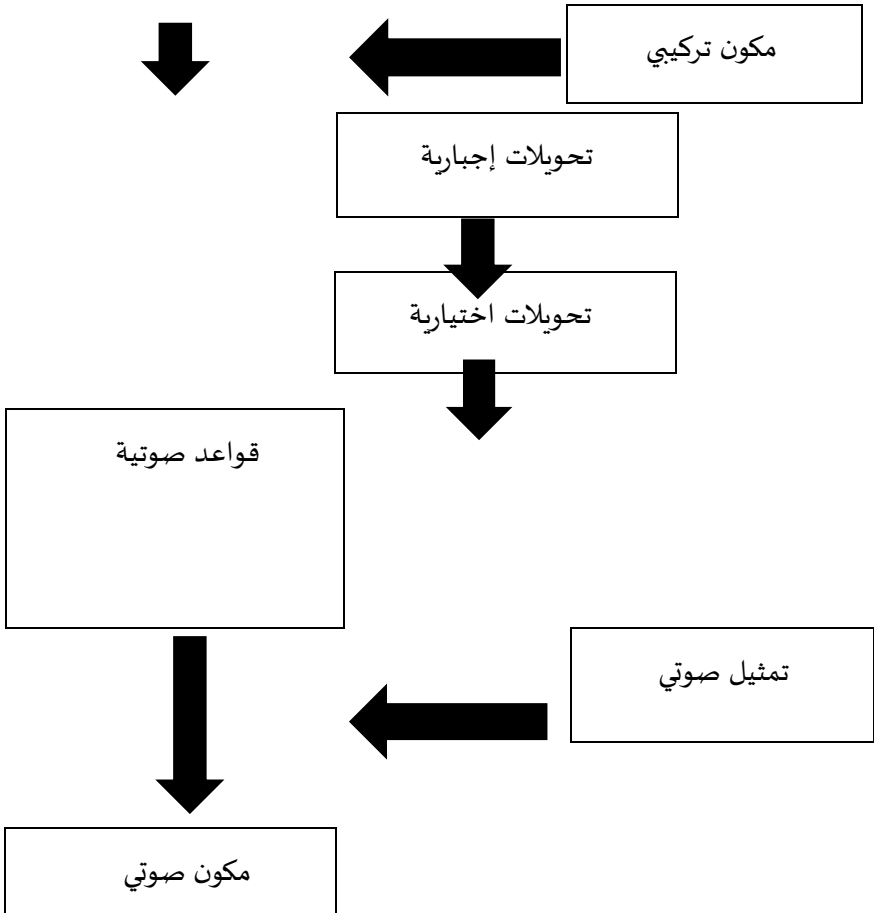
س أ ص س ب ص

حيث يقوم هذا النموذج بإعادة النظر في ترتيب الأمور أو حذف بعضها، مع إغفال تام للمكون الدلالي.

✓ المكون الصرفي-الصوتي: عبارة عن قواعد من النمط المركبي تحول سلاسل الصرفيات سليمة البناء إلى تمثيلات صوتية.

ويمكننا أن نمثل لهذا النموذج على الشكل الآتي:

قواعد مركبية



نموذج المعيار 1965: عرف نموذج تشومسكي الأول جملة من الانتقادات، خاصة تلك التي وجهها له تلامذته: " كاتز، وبوستال، وفودر". وأهمها أن النموذج الأول يقوم " بتوليد جمل لأحنة دلالية وإن كانت مقبولة تركيبيا وصوتيا".³⁸ وهذا ما أدى إلى بروز نظرية المعيار، والتي تعيد الاعتبار للمكون الدلالي، وتصبح بنيته ثلاثية (المستوى المركبي، المكون التحويلي، والمستوى الدلالي).

وتتضمن هذه المدرسة مجموعة من المبادئ لعل من أهمها:

■ الاكتساب اللغوي.

■ الإبداعية اللغوية.

■ القدرة والإنجاز.

■ المقبولية واللامقبولية.

■ البنية السطحية والبنية العميقة.

وفي ختام مبحثنا الأول؛ نشير إلأن للغة وظيفتان رئيسيتان، هما كالشكل
الآتي:³⁹

الوظيفة الأولى: وهي الوظيفة الاجتماعية، حيث إن علاقات الأفراد ببعضهم البعض، تتوقف في الدرجة الأولى على قوة الروابط بينهم، وهذه الروابط لا يمكن أن تتحقق بأي شكل من الأشكال دون وجود اللغة، بمعنى أنه لا حديث عن علاقات دينية، وعرقية، وثقافية، وهوية دون حديث عن اللغة.

الوظيفة الثانية: وهي الوظيفة الفكرية التي تجعل من اللغة وسيلة تفاهم عالمية، فهي وسيلة الثقافات، وأساس كل نشاط ثقافي. كما أنها شغلت مركز الصدارة في علم الأنثروبولوجية، ليست باعتبارها مجرد موضوع هذه العلم المفضل، بل هي، كما ذهب سابير، حقيقة ثقافية قائمة بذاتها.

توطئة:

حاولنا في الفصل الأول من هذا البحث، الحديث عن أبرز المحطات اللغوية التي توقفت عندها اللسانيات كعلم مستقل قائم بذاته، له مبادئه وأسس، بدءا باللسانيات البنيوية، مروراً باللسانيات الوظيفية، والغلوسيماتيكية، وغيرها، وصولاً إلى المدرسة التوليدية التحويلية مع رائدها نوام تشومسكي. وكان للبعد الاجتماعي في كل محطة من هذه المحطات مجال واسع من الحديث والمناقشة، لذا ارتأينا أن نخصص المبحث الثاني من بحثنا المعنون ب" اللسانيات الاجتماعية" للموضوع ذاته، ونسلط الضوء على أهم ما جاءت به هذه اللسانيات، ومساهماتها الفعالة في المضي بالدرس اللساني الحديث قُدماً، وإضفاء تيمة مميزة له.

المبحث الثاني: اللسانيات الاجتماعية

تعتبر "اللسانيات الاجتماعية" أو علم اللغة الاجتماعي، باختلاف المسميات، من أهم مجالات النمو والتطور في الدراسات اللغوية من منظور المناهج الدراسية، إذ تهتم بربط المعطى اللساني بالظواهر الاجتماعية، فاللسان له أساليب معقدة مرتبطة بالظواهر الاجتماعية، واستعماله يكون وفق المجالات الاقتصادية.⁴⁰ كما جاءت اللسانيات الاجتماعية لتتجاوز وضعا قائما في الغرب، وتقدم انتقادات لاذعة لتلك اللسانيات البنيوية التي سطرها (Ferdinand De Saussure)⁴¹، ومن الممكن أن نعرف علم اللغة الاجتماعي بأنه "دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع".⁴² ويتجه اهتمامه " بدراسة الوظيفة الاجتماعية للغة".⁴³ وهذا يقر عدد من الباحثين أن القول بأن " اللغة ظاهرة اجتماعية"، فإنه إقرار بأن اللسانيات لا يمكنها أن تكون إلا علما اجتماعيا، وبالتالي: فعلم اللغة الاجتماعي هو اللسانيات.⁴⁴ ومن بين من حمل هذا المشعل، أنطوان مييت الذي تحدث عن الطابع الاجتماعي للغة، بل اعتبرها حدثا اجتماعيا متميزا.

وقد قدمت مجموعة من المرادفات لمصطلح اللسانيات الاجتماعية. فلا نكاد نتفق على مصطلح واحد في هذا العلم، وفي غيره من العلوم الحديثة، ومن بين هذه المصطلحات:⁴⁵

- ✓ اللسانة الاجتماعية (Sociolinguistique).
- ✓ اللسانية الإناسية (linguistique anthropologique).
- ✓ اجتماعيات اللغة (Sociologie Du Langage).
- ✓ الجغرافيا اللسانية .

وتجدر الإشارة إلى أنه هناك من يميز بين علم اللغة الاجتماعي وعلم الاجتماع اللغوي *The Sociolinguistics* أو *Sociology of Language*؛ فهذا الاختلاف ليس اختلاف في العناصر، وإنما في محور الاهتمام فهناك تطابق كبير بين هذين العلمين، بل قد يكون من غير المجدي الفصل بينهما،⁴⁶ وبهذا فعلم اجتماع اللغة هو: "دراسة المجتمع في علاقته باللغة"، عكس التعريف الذي قدم لعلم اللغة الاجتماعي.

ونظرا لأهمية هذا العلم الحديث، فقد خصص فضاء لنشر الأبحاث الخاصة بعلم اللغة الاجتماعي، وهما دوريتان؛ أولها: اللغة في المجتمع *Language In Society*، أما الثانية فهي الدورية الدولية لعلم اجتماع اللغة *International Journal Of the Sociology Of Language*.

وقد كانت بدايات علم اللسانيات الاجتماعية في الفترة التي وضع فيها سوسير قواعد اللسانيات البنوية، والتي تعنى بالبنيات الداخلية للغة، حيث كان العالم الفرنسي أنطون مييت 1886-1936، يلج في بحوثه على الصلة الموجودة بين اللغة والمجتمع، مع تأثره الشديد بأراء دور كايم عالم الاجتماع.⁴⁷ ولا يمكننا هنا إغفال إشارة مهمة تتمثل في كون دي سوسير رائد المدرسة الاجتماعية في الدراسات اللغوية، ويتجلى لنا ذلك من خلال ثنائيته للغة والكلام، والتي أشرنا لها في ثنايا هذا البحث، فاللغة عند سوسير وعند غير بالطبع، ليست إلا إحدى الظواهر الاجتماعية، والفرق بينها وبين الكلام: أنها اجتماعية، وحتمية.⁴⁸

ومن هنا توالى البحوث التي تؤكد على العلاقة الجامعة بين اللغة والمجتمع، كالمقال الذي نشره بول لفارج عام 1894، بعنوان "اللغة الفرنسية قبل وبعد الثورة" *la langue française avant et après la révolution*؛ فتحدث فيه عن أثر الحدث التاريخي والسياسي والاجتماعي على المعجم الفرنسي، فوضح أن الثورة الفرنسية التي قامت سنة 1789، ساهمت في تغيير المعجم اللغوي الفرنسي، كما أنه سجل مجموعة من الكلمات الجديدة التي دخلت حقل اللغة الفرنسية.⁴⁹

ومن جهة أخرى نجد كذلك عدد من الباحثين، أثاروا إشكالية اللغة وعلاقتها بالمجتمع، فقد كان اللساني الأمريكي وليام لابوف *William Labov* (1927)، من اللغويين

القلائل الذين انتهبوا إلى أهمية الربط بين لغة من اللغات، بالسياق الاجتماعي العام الذي تنشأ فيه تلك اللغة.⁵⁰ كما كان صاحب الخطوة الحاسمة من الناحية النظرية والمنهجية في اللسانيات الاجتماعية ككل، يقول وليام لابوف في هذا الصدد: "

"Pendant des années , je me suis refusé à parler de sociolinguistique, car ce terme implique qu'il pourrait exister une théorie ou une pratique linguistique fructueuse que ne serait pas sociale⁵¹".

إذ يقصد وليام بقوله هذا: أنه وبمرور السنوات، كان يرفض رفضاً قاطعاً الحديث عن اللسانيات الاجتماعية، لأن هذا الحقل يعني نظرية، أو ممارسة لغوية ناجحة، لا تتعلق بالمجتمع.⁵²

فقد كانت بدايات حياة لابوف العلمية، بنيوية بامتياز، ثم تدرج بعد ذلك إلى النحو التوليدي، واتبعتها بدراسة وتحليل المتغيرات الصوتية والمتغيرات الاجتماعية، وضبط هذه الدراسات في حيز جغرافي هو جزر مارتيناك De Martha s Vineyard L ile، كما وضح كذلك أثر العوامل اللسانية على الوقائع اللسانية في دراسة ميدانية أخرى تناول فيها نطق حرف الراء R عند سكان مدينة نيويورك، ودراسة ثانية تناول فيها الملفوظ عند السود الأمريكيين.⁵³ ليصبح وليام لابوف بعد ذلك، عالم لغة اجتماعي بامتياز، ساعد في بلورة هذا العلم وتقدمه.

وفي نفس الاتجاه، نجد اللغوي Dell Hymes (1927-2009)، الذي تحدث على ما سماه "الملكية التواصلية" La Compétance Communicative، وهي أساس التصور القائم على ربط اللغة بمحيطها الاجتماعي، وذلك وفق نموذج: SPEAKING؛ الذي يمكننا من استيعاب أشكال التغيير الثقافية الحاصلة في الأنساق التواصلية عامة، فنحن أمام نموذج يتيح لنا إمكانية مقارنة دور الخطاب داخل مجتمعات بشرية مختلفة.⁵⁴ ويتكون هذا النموذج من العناصر الثمانية الآتية⁵⁵:

- Setting : lieu, moment et ambiance du discours
- Participants : les personnes présentes

- Ends : le but de la rencontre
- Acts : les messages eux-memes
- Keys : le son, le ton, des messages
- Instrumentalities : le langage parlé, chanté, écrit
- Norms : interférence socio-culturelles
- Genres ou types de discours : les contes, histoires, épopées, drames, etc

وكان أكبر تحول شهدته اللسانيات الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية، فألى جانب المدرسة البنيوية التوليدية، ظهر الاتجاه الجديد سنة 1960، سعي بالأنثروبولوجية اللسانية، وتتمحور حول أبحاث عالمين، هما: دال هايمز، وجزن كابير، فاشتغلا على المحاور Conversation ومبادئها.⁵⁶

كما اهتم في الفترة ذاتها في بريطانيا بدراسة العلاقات بين البنيات اللسانية والطبقات الاجتماعية، وقد وضع مفهومي رمز محدود Code Restreint ورمز محدد Code élaboré، ووضح أن أطفال الطبقات الشعبية يعانون من فقر لغوي بالقياس لأطفال الطبقات المترفة.⁵⁷

ومن هنا نلاحظ ارتباط علم اللغة الاجتماعي، ارتباطا وثيقا ومتينا بمجالات اللغة في صلتها بالمجتمع، مع تسجيل تعدد القضايا التي ظل خاض فيها، منها على سبيل المثال، لا الحصر:⁵⁸

احتكاك اللغات. ✓

الدخيل والتداخل والخلط اللغوي. ✓

الثنائية والتعددية اللغوية. ✓

اللغات واللهجات. ✓

تصحيح اللغة. ✓

- ✓ جودة اللغة.
- ✓ تعقيد اللغة.
- ✓ الأمان اللغوي.
- ✓ السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي.

وهذه القضايا كلها، تحضر فيها عناصر متعددة، منسجمة هي : اللغات والأفراد والمجتمعات والمؤسسات. وهذا التداخل المتعدد والمركب، هو الذي يفسر ارتباط علم اللغة الاجتماعي بمجموعة من المجالات. لذا يبدو علم اللغة الاجتماعي وكأنه يتخذ أشكالاً مختلفة، لأنه ينطلق من علاقة جدلية تربط اللغة بالمجتمع، والمجتمع باللغة.⁵⁹

وارتأيناها هنا أن نفضل في قضية اللهجات الاجتماعية : social dialects؛ إذ إن اللهجات لا تستند في توزيعها على البعد الجغرافي فقط، بل غالباً ما يتحدث علماء اللهجات عن اللهجات الاجتماعية، وهم يقصدون بذلك الاختلافات اللغوية التي لا تستند إلى اختلافات إقليمية.⁶⁰ ويقدم لنا هـدسون أنموذج بريطانيا، والخصائص المميزة للبنية الهرمية الطباقية لها، ومن أهم هذه المميزات: وجود أسبقية للطبقة الاجتماعية على التوزيع الجغرافي، كعنصر محدد لنوعية الكلام،⁶¹ ، بمعنى أن التباين الجغرافي موجود بين من ينتمون إلى الطبقات الاجتماعية الدنيا، أكثر من التباين الموجود بين عليا القوم، في المجتمع البريطاني.⁶²

خاتمة

وفي الختام، استطعنا في ورقتنا البحثية المتواضعة هذه، التوصل إلى مجموعة من النتائج، يمكن حصرها فيما يلي:

- ✓ مرور اللسانيات منذ ظهورها بمجموعة من المحطات، وكل محطة تقدم نظرة جديدة لدراسة اللغة دراسة وصفية متميزة، من جميع جوانبها.
- ✓ كان للبعد الاجتماعي حضور وازن في جميع المدارس اللسانية. مع اختلاف واضح في درجة اهتمام كل مدرسة بهذه النظرية.

✓ لا يمكن فصل اللغة عن المجتمع، فلا يمكن الحديث عن مجتمع متناسق دجون وجود اللغة التي يواصل بها الأفراد بشكل يومي.

✓ اللسانيات هي المجتمع، والمجتمع هو اللسانيات، فهذه العلاقات الجدلية لا يمكن الفصل بينها.

✓ لدايات اللسانيات الاجتماعي الحقيقي، كان مع وليام لابوف وغيره، وقد تميزت بأبحاثه بكونها ميدانية تطبيقية متميزة.

كانت هذه إذن أهم الأفكار التي جاء بها بحثنا، فهو عبارة عن خلاصة شاملة تامة لمجموع الآراء، فزبدة القول، أن اللغة مؤسسة اجتماعية تختلف عن باقي المؤسسات لأخرى لأنها تخص جميع أفراد المجتمع دون شروط، ولا قيود.

ونوجه الشكر في الختام للطلبة MASTER الدراسات اللغوية: قضايا ومناهج، الفصل العاشر، على جديتهم في تلقي العلوم، وصبرهم على الصعاب بعقلية الجماعة، مع تفضيلهم المصلحة العامة عن المصلحة الشخصية الفردية. فوفقنا الله لما يحب ويرضى، وجعلنا شعلة العلم المضيئة في هذا الوطن الجريح. كما نشكر أساتذتنا الأفاضل، حفظهم الله، على توجيهاتهم ونقودهم البناء، وعلى رأسهم الدكتور " شوقي المقرئ"، المشرف على بحثنا هذا، جزاكم الله عنا خير الجزاء.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

■ الهوامش

- 1- المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ص:67.
- 2- que sais je la linguistique, jean perrot,perssesunv de France , sixième édition,p
- 3- الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، 33/1.
- 4- المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، خليفة الميسوي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013م، ص: 21.
- 5- نفسه.
- 6- المدارس اللسانية المعاصرة، ص: 68.
- 7- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:3، 1997، ص:96.
- 8- المصطلح اللساني، ص:23.
- 9- المدارس اللسانية المعاصرة، ص ص : 9-13.
- 10- نفسه، ص: 10.

- 11 - نفسه.
- 12 - علم اللغة نشأته وتطوره، محمود جاد الرب، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1975م، ص: 84.
- 13 - المرجع السابق، ص: 93.
- 14 - دراسات في اللسانيات التطبيقية، حلمي خليل،
- 15 - مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، حسني خالد، مكتبة الشيخ حسن، وجدة، ص: 27.
- 16 - نفسه.
- 17 - نفسه.
- 18 - اللسانيات العامة واللسانيات العربية، تعاريف، أصوات، عبد العزيز حلياي، منشورات دراسات سال، ط1، 1999م، ص: 28.
- 19 - نفسه، ص: 29.
- 20 - نفسه، ص: 24.
- 21 - نفسه.
- 22 - مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، ص: 34.
- 23 - نفسه، ص: 35.
- 24 - المدارس اللسانية المعاصرة، ص: 84.
- 25 - نفسه، ص: 86.
- 26 - مدخل إلى اللسانيات العامة، ص: 43-44.
- 27 - مدرس اللسانيات، التسابق والتطور، ص: 106.
- 28 - مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، ص: 50.
- 29 - المدارس اللسانية المعاصرة، ص: 117.
- 30 - مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، جفري سامسون، تر: محمد زياد كبية، جامعة الملك سعود، السعودية، ص: 226.
- 31 - نفسه، ص: 227.
- 32 - مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، ص: 52.
- 33 - مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، ص: 63.
- 34 - مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، ص: 135.
- 35 - المدارس اللسانية المعاصرة، ص: 129.
- 36 - اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفاسي الفهري، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1986م، ص: 65.
- 37 - مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، ص: 102.
- 38 - مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، ص: 104.
- 39 - محاضرات في اللسانيات الاجتماعية، بوقرية، ص: 6.
- 40 - المصطلح اللساني، ص: 28.
- 41 - علم اللغة الاجتماعي، مدخل نظري، عبد الكريم بوفرة، جامعة محمد الأول، وجدة، مجلة الألوكة، ص: 6.
- 42 - علم اللغة الاجتماعي، هديسون، تر: محمود عياد، مر أبو زيد، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1990م، ص: 12.
- 43 - علم اللغة الاجتماعي، مدخل نظري، عبد الكريم بوفرة، ص: 5.
- 44 - علم اللغة الاجتماعي، بوفرة، ص: 7.
- 45 - محاضرات في اللسانيات الاجتماعية، لطفي بوقرية، معهد الأدب، المركز الجامعي بشار، الجزائر، 2002-2003، ص: 1.
- 46 - علم اللغة الاجتماعي، هديسون، ص: 17.

- 47 - محاضرات في اللسانيات الاجتماعية، ص: 2
- 48 - علم اللغة نشأته وتطوره، ص: 87.
- 49 - محاضرات في اللسانيات الاجتماعية، ص: 3.
- 50 - علم اللغة الاجتماعي، بوفرة، ص: 7.
- 51 - 37 p williamlabov sociolinguistique، نقلًا عن: علم اللغة الاجتماعي، بوفرة، ص: 7.
- 52 - ترجمة كلام وليام، مجهود شخصي.
- 53 - محاضرات في اللسانيات الاجتماعية، بوقرية، ص: 4
- 54 - علم اللغة الاجتماعي، بوفرة، ص: 8.
- 55 - نفسه، ص: 8.
- 56 - محاضرات في اللسانيات الاجتماعية، بوقرية، ص: 4
- 57 - نفسه، ص: 4.
- 58 - علم اللغة الاجتماعي، عبد الكريم بوفرة، ص: 16
- 59 - علم اللغة الاجتماعي، عبد الكريم بوفرة، ص: 18
- 60 - علم اللغة الاجتماعي، هديسون، ص: 72
- 61 - نفسه.
- 62 - نفسه، ص: 73

لائحة المصادر والمراجع

- المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة، مكتبة الآداب، القاهرة.
- que sais je la linguistique ,jeanperrot,perssesunv de France , sixième édition
- الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.
- المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، خليفة الميسوي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013م.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:3، 1997.
- علم اللغة نشأته وتطوره، محمود جاد الرب، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1975م.
- دراسات في اللسانيات التطبيقية، حلمي خليل.

-
- مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، حسني خالد، مكتبة الشيخ حسن، وجدة.
 - اللسانيات العامة واللسانيات العربية، تعاريف، أصوات، عبد العزيز حلياي، منشورات دراسات سال، ط1، 1999م.
 - مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، جفري سامسون، تر: محمد زياد كبية، جامعة الملك سعود، السعودية.
 - اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفاسي الفهري، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1986م.
 - علم اللغة الاجتماعي، مدخل نظري، عبد الكريم بوفرة، جامعة محمد الأول، وجدة، مجلة الألوكة.
 - علم اللغة الاجتماعي، هدمسون، تر: محمود عياد، مر أبو زيد، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1990م.
 - محاضرات في اللسانيات الاجتماعية، لطفي بوقربة، معهد الأدب، المركز الجامعي بشار، الجزائر، 2002-